رسالة من حسن البنا

إلى أحد الشباب المسافرين لطلب العلم في بلاد الغرب

كتب الأستاذ البنا رحمه الله تعالى هذه الرسالة سنة ١٩٣٥م ، ونعيد نشرها الآن بعد قريب من أربعين سنة من تاريخ نشرها أول مرة .. فما يزال فيها ما ينفع الشباب المغتربين في طلب العلم أو العمل في ديار الغرب هذه الأيام أيضا .

أخي .. رعاه الله وكلأه

أحمد الله إليك الذي لا إله إلاّ هو ، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصـــحبه ومن تمسك بشريعته إلى يوم الدين ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يوم تسافر صالح النية نبيل المقصد ، ويوم تعود راشد المسعى حميد الأوبة ، ويوم تخدم الإسلام المفدى بما قطفت من يانع ثمر العلوم وناضر أزهار المعارف .

بعد فترة قليلة أيها العزيز ستكون بين قوم لم تعرفهم وأناس لم تألفهم ، يرون فيك مثال المسلم ، فـــاحرص يـــا عزيزي أشد الحرص على أن تكون خير مثال وأفضل صورة يفهم منها القوم أن المسلم فضيلة وأن المسلم نبل .. وأن معك (وديعة) غالية هي زوجك الفاضلة ، فاقدر ذلك وكن لها رفيقاً أميناً يوفر لها الراحـــة ويحقّـــق لهـــا الـــسعادة ويشاطرها الهناءة في غير تساهل في الحقوق أو تغافل عن الواجبات ، واقرآ معاً هذه الكلمات التي أملاها حبي إياكما وإخلاصي لكما كأخ كبير يتمنى لأخويه أفضل الأماني ويرجو لهما أسعد الحياة .

يا أخي :

١) أحسن مراقبة الله تبارك وتعالى في كل شأنك ، واعلم أنه رقيب عليك وناظر إليك ومحيط بكل شأنك أينمـــا كنت ، وهو يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، فاجتهد ألاّ يراك إلاّ حيث يرضى عنك وقتاً وحالاً ، ولا تغفـــل عن مراقبة الحق تبارك وتعالى فيتسرب إلى نفسك الشيطان وتغلبك وساوس النفس ، واعتقد يا عزيـــزي أن القلـــب المعمور بمراقبة الله تبارك وتعالى لا يقربه شيطان أبداً ، فإن خلا من معرفة الله استهوته الشياطين وسكنته الـــشهوات والأهواء ، فحصّن قلبك بالمراقبة واستعن على ما يحيط بك باليقظة ولا تكن من الغافلين .

٢) أدّ فرائض الله التي افترض عليك ولا تهملها اتكالاً على القضاء أو اشتغالاً بالأعمال أو تعلّلاً بالمعاذير ، فـــإن ذلك من خداع النفس ونزعات الهوى فلا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، واعلم يا عزيزي أنه ما تقرب أحد إلى

الله بمثل ما افترض عليه كما جاء في حديث البخاري رضي الله عنه ، فإيّاك إياك وإهمال الفرائض والتكاســل عــن الواجبات التي هي لله عليك ، فأقم الصلاة وأحسن الصوم إلاّ أن تعجز عجزاً تاماً عن ذلك فيكون لك مندوحــة في قول الله تعالى :

﴿ ... **وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ** ... ﴾ [البقرة : ١٨٤]

واحذر أن تتخذ ذلك ذريعة للتقصير ، فلأن تصوم بمشقة وأنت في ديار الغرب أعظم لأجرك وأجزل لثوابك وأرضى لربك وأزكى لنفسك ، فلا تقربنّ الفطر إلاّ مغلوباً لا يجد إلى الصوم حيلة ولا يستطيع إليــه ســبيلا . ولا أزيــدك بالفرائض وصية فإنها رأس المال ، وما بالك بمن أضاع رأس ماله كيف يكون حاله مع الرابحين غدا .

٣) اقض ما استطعت من وقتك في الطاعات من النوافل ، فأدّ سنن الصلوات وأكثر مــن الاســتغفار وسبح باسم ربّك العظيم ، واعلم أن دعاء المرء وهو على سفر وفي اغتراب مستجاب فأكثر من الدعاء تضرعاً وخيفة ، وأدم ذكر الله تبارك وتعالى فقد أوصى الرسول صلى الله عليه وسلّم عليّاً كرّم الله وجهه بأن يظلّ لسانه رطباً بذكر الله ، ولا تدع سبيلاً تستطيع أن تسلكها إلى الخير إلاّ سلكتها فإن الطاعات منك مضاعفة الأجور ، وذكر ربك بين الغافلين من أبناء تلكم الأمم نور على نور ، فاغتنم هذا الوقت فهو موسم من مواسم الأرباح الأخروية لمــن أراد أن يغتنم الفرص وينتفع بالمواسم .

٤) أكثر من تلاوة القرآن بتفهم وتدبّر فهو شفاء الصدور وربيع القلوب ، واجعل لك منه ورداً تستفتح به يومــك وتختتم به عملك فنعم البدء ونعم الختام .

٥) سترى من مباهج الحياة وزخرف الدنيا ما يستهوي القلب ويسترعي العين ويخلب اللب ويغلب ضعاف النفوس ، فلا يفتننك ذلك عن الفضيلة ولا ينسينّك الآخرة .

﴿ **وَلا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَــى ۞ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى** ﴾ [طه : ١٣١-١٣٢]

واعلم يا عزيزي أن هذه المتع جميعاً لا تزن عند الله جناح بعوضة ، ولا تدل على شرف أو فضيلة ، وإنّما هــي مطايا الشهوات ومهاوى الفتن ، فاحذر أن يستخفك الشيطان فتردى في مهواة الإثم والفتنة ، واذكر دائماً قــول الله تبارك وتعالى :

﴿ **زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُــسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَــوْا**

عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَــادِ ﴾ [أل عمران : ١٤-١٥]

وكتاب الله يتلو هذه الحقائق صباح مساء ، فلا تكن ممن يؤثر الحياة الدنيا على الآخرة ويخدعــه القــشر عــن اللباب ، وما من لذة من هذه اللذائذ التي جاءت بها المدنية الحاضرة إلاّ تعقبها آلام تربو علــى حلاوتهــا وتــذهب بعذوبتها فتجنب مظاهر دنياهم ولا تأخذنّ بقيادك ولا تخدعنّ بها لتكون من الفائزين .

٦) يا عزيزي ، إنّ القوم يرون بعض ما حرم الله علينا حلالاً لهم فلا يتحرجون من مقارفته ولا يتوقفــون عــن ارتكابه فلا توافقهم على أهوائهم ولا تخالطهم في آثامهم فإن ذلك لا ينجيك من مؤاخذة الله تعالى ولا يصلح لــك حجة يوم القيامة .

لا تصاحب فتياتهم ولا يكن بينك وبينهنّ صداقة خاصةّ ولا صلة عاطفية ، فإن ذلك إن كان من غيرك جرمــاً واحداً فهو منك جرمان ، وأنت تعلم تأويل ذلك ، والعهد بك العفاف والأمانة ، وإنّما ذكرت ذلك تنبيهــاً علــى مزالق الإثم حتى لا تزلّ قدم ، وفي طهارتك الغناء وفي شرف نفسك الكفاء .

الخمر .. لا تقربها ، ولا تتعلل بالجو فإن الله حين حرّمها كان يعلم الأجواء جميعاً فلم يستثن بلداً دون بلــد ولا أمّة دون أمة ولكنه حرّمهما تحريماً لا شك فيه ولا استثناء معه ، فإيّاك أن تحتل من بطنك مكاناً فتظل بقعة سوداء في ذلك الأديم الطاهر . وكن أشدّ ما تكون عزيمة أمام الكأس الأولى فإنّها إن خامرت عقلك استتبعت الثانية فالثالثــة فانزلقت إلى هاوية لا تجد لك منها خلاصاً وجنيت بذلك على نفسك وعلى غيرك جناية إن كفّرتها التوبة فمن بسابق الطهر وروعة الحصانة .

مطاعم القوم المحرمة من خنــزير وميتة .. لا تذق منها شيئاً ، ولك في الحلال مندوحة وغنى فلا تتذوق الحــرام ولا ينبت لحمك منه ، فكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به ، وما حرمه الله إلاّ وهو خبيث

﴿ ... **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ... ﴾ [الأعراف : ١٥٧]

فانصرف عن الخبائث إلى الطيبات .

المقامر والملاهي ودور العبث – وقتك أغلى من الضياع فيها ، فاحرص عليه أن يضيع في غير ثمرة تــستفيدها أو خير تفعله . ولقد رأيت من قال إنّ الوقت من ذهب فلم يعجبني ذلك ، لأن الوقت أغلى من الذهب ، فالوقت هــو الحياة ، وهل حياتك إلاّ هذه الساعات التي لا تدري متى تنتهي ؟ فاحرص يا عزيزي أشد الحرص على أوقاتــك ولا تصرفها إلاّ في الجدّ ، وروح عن نفسك بالحلال من المروّحات ، وأن في السماء لروحاً وإن في الأرض لجمالاً وإنّ في

الحدائق لنضرة وإنّ في البحر لعظمة وإن في نفسك لآية ، وإنّ في الهواء لغذاء ، فخذ من ذلك كله راحــة نفــسك واستجمام خاطرك ، ولا تكثر من اللهو والغفلة فإنها حجاب عن الخيرات ومدعاة إلى السوء .

كن مع القوم ناقداً بصيراً ومنصفاً خبيرا . لا تستهوينّك محاسنهم فتنسى مساويهم ، ولا تؤلمنّك مساويهم فتنسى محاسنهم ، بل ادرسهم دراسة الفاحص المدقّق ، وأحط بكل ما تستطيع من شؤونهم علماً ، ثم انقذ ذلك كله بعــين البصيرة ، فما كان حسناً فاهده إلى أمتك وقومك وعد به مظفراً مؤيّداً ، وما كان غير ذلك فألقه إليهم لا تقم لــه وزناً ، ولا تأت إلاّ وقد نفضت منه يدك وفرغت خاطرك .

وستجد قوماً يعيبون دينك وينالون من نبيك ويجهلون قرآنك وينتقصون قومك ، فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، وإن دعاك الأمر إلى النقاش فجادلهم بالتي هي أحسن ، وأوضح لهم ما تعلم في ذلك مــن المحاســن ، وإيّاك والمراء المؤدي إلى البغضاء والفتنة فإنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء ، واعلم يا عزيــزي أن الدعوة الفعلية أجدى من الدعوة القولية ، وأن دفاعك عن دينك وأمتك ، ودعوتك لهما بحسن خلقــك وكمــال نفسك واستقامة مسلكك أجدى وأنفع من كل شيء ، وإن أتيح لك سبيل القول والمحاضرة في مجامع القوم وأنديتهم فاستعد لذلك ، وتخيّر ما لا يثير الفتنة ولا يجرح كرامة ، ولا تتهيب الموقف فإن معونة الله مع المخلــصين ، وكــن إيجابياً فلا تقدح في عقائد القوم ولكن جلّ لهم محاسنهم ، واكشف لهم عن عقائدنا ، وحسبك هذا دعاية وتشويقا .

وأما بعد ، فإن في القول فضل سعة ، وكنت أحب أن أستمر إليك مناجياً لولا أنّي أخــشى أن أطيــل عليــك فتنسى ، فإن كثير الكلام ينسي بعضه بعضا . أما الأمل فيك فعظيم ، وأما الشوق إليك فشديد ، وأما الدعاء لــك فمتجدد ، والله عليك نعم الخليفة . رافقتكما السلامة ورعاكما الله وأعادكما على خير ما يحب لكما المخلــصون ، ونستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم عملكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .